

المنهج الصوفي ودوره في تجديد الخطاب الديني

Sufism And Its Role In The Renewal Of The Religious

د. رشا روابح

باحثة في مجال التصوف والقيم الروحية

الجزائر

racha.raubah@gmail.com

ORCID ID: 0000-0001-6248-7131

ملخص

تسعى هذه الدراسة إلى إبراز ما يحتزنه التراث الصوفي من منظومة أخلاقية وقيم روحية قادرة على خلق شروطٍ للتجديد في الخطاب الديني والممارسة الدينية، وذلك من خلال الربط الوثيق بين القواعد الأخلاقية والأحوال الروحية وبين العبادات والمعاملات الدينية، بغية تجاوز الخواء الروحي الذي تعانيه حلّ الخطات الدينية المتداولة، وكذا العمل على سبب خطاب ديني شامل كفيل ببناء إنسان مسلم مؤمن محسن ومتفاعل مع عصره، يتصالح ظاهره مع طنه. وكذا ابتغاء تفعيل مبادئ المنهج الصوفي التي مكّنتها أن تخفف من فوضى الخطات التكفيرية، وتسهم في تحويل الخطاب إلى سلوك عملي، وذلك بنشر خطاب وسطي معتدل وأصيل قائم على مبادئ المحبة والسلام والإحسان.

الكلمات المفتاحية: الدين، التصوف، الخطاب الديني، التجديد.

Abstract

This study aims to highlighting both ethical system and education rules of the sufi heritage which are able to create the necessary conditions for the renewal of the religious discourse and religious practice through the close connection between both ethical rules and spiritual conditions, and worship and Islamic transaction in order to bypass the spiritual emptiness present in most of the religious discourses, and in order to set up a global religious discourse able to build a Muslim human, believer, improved and contemporary whose interior corresponds to his appearance. Moreover, to set up the sufi's principals that limit the chaotic takfiri discourses and help to change the discourses to a behaviour in people's life and

Makale Bilgisi / Article Information

Makale Türü / Article Types: Araştırma Makalesi / Research Article

Geliş Tarihi / Received: 06 Aralık/December 2019

Kabul Tarihi / Accepted: 06 Aralık/December 2019

Yayın Tarihi / Published: 01 Ocak/January 2019

Yayın Sezonu / Pub Date Season: Ocak-Haziran /January-June

Revabih, Racha, "المنهج الصوفي ودوره في تجديد الخطاب الديني", YIL: 13, C: 13, S: 25, Ocak - Haziran 2020/1, ss. 37 - 59

İntihal / Plagiarism: Bu makale, TURNİTİN intihal programıyla tarandıktan sonra, iki hakem tarafından incelendi ve intihal içermediği teyit edildi. / This article has been reviewed by at least two referees and scanned via a plagiarism software.

this through transmitting a moderate discourse based on both love and peace principals.

Key Words: religion, Sufism, Religious discourse, renew.

مقدمة

يعيش الإسلام اليوم غربة كالتّي نشأ فيها، نظراً لما يتلقاه من اتهامات بتزويجه للعنف والتطرف والإرهاب، مما أدى إلى اكتساح ظاهرة الإسلاموفوبيا، نتيجة تشويه الخطاب الديني الإسلامي من الخارج ومن الداخل؛ من الخارج من طرف الإعلام الغربي، ومن الداخل من طرف بعض الخطات الدينية المتطرفة والمسيّسة. في ظل هذه الظروف ت سؤال التجديد في الخطاب الديني سؤالاً حتمياً، من أجل إعادة إحياء ما انطمس من معالمه، وما خمد من أنواره، لشكل الذي يحافظ فيه على قداسة النص الديني من جهة، ويمارس التجديد والعصرنة لمواكبة الواقع والتناغم مع عوامل الزمان والمكان والحال من جهة أخرى، ويكون لصيغة التي تؤدي إلى ترسيخ القيم الإنسانية التي تسهم في شمل الناس وردم هوة الخلاف والاختلاف بينهم لا إلى تعميق الفراق والشقاق بينهم، والتي تعزز قيم التسامح والعيش المشترك التي جاء بها من أرسل رحمة للعالمين ﷺ.

وأكثر شيء انطفأ نوره في الخطات الدينية المعاصرة هو الجانب الروحي والتفعيل السلوكي للحكم الديني، الأمر الذي أدى إلى انتشار التدين الشكلي الخاوي من الروح، والتدين المتشدد المفرغ من القيم. ولعلنا لا نجانب الصواب إذا اعتبر أن المنهج الصوفي قادر على أن يسهم مساهمة جادة في ذلك التجديد المنشود، الذي اجتهد السادة الصوفية على صياغته بشكل يتلاقح فيه الظاهر مع الباطن، حين جعلوا تجسيد النص الديني سلوكياً في عمق اهتماماتهم البحثية وبؤووه مكا عليا، سياً لذي كان قرآ يمشي ﷺ. ومن هنا تي أهمية هذا الموضوع.

وتهدف هذه الدراسة إلى إبراز المساهمة التي يمكن أن يقدمها التصوف منهجا وخطا في مجال تجديد الخطاب الديني، ومدى قدرته على خلق شروطٍ للتجديد في هذا المجال، وفي الممارسة الدينية عموماً، وذلك من خلال تغليظ الميثاق بين القيم الأخلاقية والأحوال الروحية وبين المعتقدات والعبادات والمعاملات الدينية، من أجل تجاوز العقم الروحي والشلل الأخلاقي الذي انكبّ على جلّ الخطات الدينية المتداولة.

وعليه تتمحور إشكالية الدراسة حول سؤال رئيسي مفاده: هل يمكن للمنهج الصوفي بحقائقه المعرفية

ومقاصده الأخلاقية أن يجدد الخطاب الديني وفق معطيات العصر؟

وتتم الإجابة على هذه الإشكالية من خلال أربعة محاور أساسية تشدّها مقدمة وخاتمة، يحاول المحور

الأول ضبط أهم المصطلحات التي تدور حولها الدراسة، ويبين الثاني الوظائف التي يستخدمها الخطاب

الصوفي ويسعى إلى تحقيقها عند المتلقي، ويناقش الثالث كيفية التوفيق بين الأخلاق الصوفية وبين الاعتقادات والأحكام الشرعية. ويتوخى المحور الأخير إمالة اللثام عن دور التصوف في روحنة الخطاب الديني وتجاوز الخطات الإقصائية.

أولاً- ضبط المصطلحات

يحسن بنا بداية توضيح مدلولات المصطلحات المركزية لهذا المقال، وهي: التصوف، التجديد، الخطاب الديني، وتحديد الخطاب الديني.

1- التصوف

يُعتبر مصطلح التصوف من أكثر المصطلحات إربا للجدل حول اشتقاقاته وتعريفاته، ولم يحصل إجماع بين علماء الصوفية أنفسهم على تعريف واحد، بل تعددت تعريفاتهم بتعدد التجارب الصوفية، وكان كل واحد منهم يعبر بما وقع له، حتى قال الشيخ زروق أنها تربوا على الألفين تعريف مرجعها كلها إلى "صدق التوجه إلى تعالى".¹

والتصوف في حقيقته علم ربي ومعرفة وجودية وحقيقة كونية وممارسة حيّة، مداره على صفاء القلب والسريرة، والعمل لعلم على وجه الإخلاص وصدق النية، سلوكا إلى مراتب القرب والوصول والولاية، ويشكل مدرسة لإعادة بناء الإنسان من الداخل وربطه بمولاه في كل نية وفكر وقول وعمل، فهو رنية الإسلام الجامعة بين الدين والدنيا، والارتقاء لبشرية والتسامي إلى مستوى الإنسانية الحقيقية.

2- الخطاب الديني

الخطاب هو المحاورة والمحادثة بين طرفين، ونسبته للدين يُراد بها الخطاب القائم على مرجعية دينية في مخاطبته وأحكامه وبيانه. ونقصد لخطاب الديني هنا: كلُّ بيان يُنشر للتعريف لدين الإسلام عقيدة، وشريعة، وسلوكا، عبر مختلف الوسائط. ويتم طرح هذا الخطاب من طرف العلماء والدعاة والأئمة والمنتسبين إلى المؤسسات الدينية، سواء كان ذلك من خلال الخطب أو المحاضرات أو التأليف أو البرامج الإعلامية الأخرى، أو مختلف مواقع التواصل الاجتماعي. ويندرج أيضا ضمن ذلك المناهج الدراسية الدينية في المدارس والمؤسسات والمراكز التعليمية والجامعات الشرعية، كما يمكن توسيع مفهوم الخطاب الديني ليشمل النشاط الإسلامي، والنشاط الدعوي، وعمل الجماعات الإسلامية بشكل عام الفقهي منها والعلمي والدعوي والتزوي.

أحمد زروق، قواعد التصوف، ص22.

3- التجديد

التجديد في اللغة: نقيض الخلق، والخلق: هو القديم، والتجديد: هو تصيير الشيء جديداً،² فالتجديد لغو يعني وجود شيء كان على حالة ما، ثم طرأ عليه ما غيرَه وأبلاه، فإذا أُعيد إلى مثل حالته الأولى التي كان عليها قبل أن يصيبه البلى والتغيير كان ذلك تجديداً.³

والتجديد اصطلاحاً: له تقريبا نفس المعنى اللغوي، مضافاً إليه ما تقتضيه طبيعة الإضافة إلى الشرع من مدلول خاص ومعنى جديد. وقد تعددت صيغ العلماء في تعريف التجديد، لكنها تصب في ثلاثة مجالات هي⁴:

- المجال الأول: إحياء ما انطمس من معالم الدين، والدعوة إلى العمل بها: حيث يقول المودودي: "المجدد: هو كل من أحيى معالم الدين بعد طموسها، وجدد حبله بعد انتفاضه."⁵

- المجال الثاني: دفع البدع والمحدث وأهلها، والعودة إلى السنة النبوية الصحيحة: يقول القرضاوي: "لا يعني تجديد [الدين] إظهار طبعة جديدة منه، بل يعني العودة به إلى حيث كان في عهد الرسول وصحابته ومن تبعهم حسان."⁶

- المجال الثالث: تنزيل الأحكام الشرعية على ما يجد من وقائع وأحداث، ومعالجتها انطلاقاً من الوحي: يقول الكاتب عمر عبيد حسنة: "ليس المراد لاجتهاد والتجديد الإلغاء والتبديل وتجاوز النص، وإنما المراد: هو الفهم الجديد القويم للنص، فهماً يهدي المسلم لمعالجة مشكلاته وقضا واقعه في كل عصر يعيشه، معالجة بعة من هدي الوحي."⁷

و لجمع بين هذه المجالات الثلاثة، يكون مفهوم التجديد شرعاً هو: إعادة إحياء وبعث ما اندرس من الدين، وتحليله من البدع والشوائب، مع توثيق صلته لواقع المعاصر ومستجداته.

ويقول الأستاذ الطيب برغوث عن التجديد: "هو تمكين الأمة من استعادة زمام المبادرة الحضارية في العالم كقوة توازن محورية، عبر إحكام صلتها من جديد بسنن الآفاق والأنفس والهداية، التي تتيح لها المزيد من التزقي المعرفي والروحي والسلوكي والعمراي."⁸

ابن منظور، لسان العرب، مادة جدد. والرازي، مختار الصحاح، مادة جدد.

بسطامي محمد سعيد، مفهوم تجديد الدين، ص14.

عدنان محمد أمامة، التجديد في الفكر الإسلامي، ص16.

أبو العلاء المودودي، موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه وواقع المسلمين والنهوض بهم، ص13.

يوسف القرضاوي، من أجل صحوة رائدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا، ص28.

عمر عبيد حسنة، الاجتهاد للتجديد سبيل الوراثة الحضارية، ص20.

محمد مراح، مفهوم التجديد في الفكر الإسلامي، (مقال)، (1/48).

ويحسن بنا هنا الإشارة إلى وجوب التفريق بين التجديد والتجدد، فليس كل متجدد مجدد فالتجدد هو عبارة عن "التماس الوسائل لمسألة الجاهلية، وإعمال خلط جديد بين الإسلام والجاهلية"⁹، مثل ما نلمحه في بعض أعمال من يدعي التنوير والتحديث، فمثل هؤلاء لا تكون مهمتهم تجديد الدين بل التجدد في الدين. أما التجديد فهو في حقيقته "تنقية الإسلام من كل جزء من أجزاء الجاهلية، ثم العمل على إحيائه خالصا محضا على قدر الإمكان"¹⁰. ويقول الأمير عبد القادر الجزائري مشيرا إلى التجديد الصوفي للخطاب الديني: "وأهل طريقنا رضي عنهم، ما ادّعوا الإتيان بشيء في الدين جديد، وإنما ادّعوا الفهم الجديد في الدين التليد"¹¹

4- مفهوم تجديد الخطاب الديني

لا بد وأن نفرق بين الخطاب الديني والوحي للمنزل، فالوحي هو النص الشرعي المقدس الذي لا يقبل التجديد ولا التبديل، وأما الخطاب الديني فهو يستند إلى الوحي في كثير من الحالات، ويتمثل في تلك القراءة الواعية للنفس والآخر والواقع، القائمة على تقديس النص القرآني، السالكة للهدى المحمدي، والقادرة على معالجة أزمت الواقع بحلول شرعية.

وليس التجديد بدعة، بل يتأصل شرعا لقوله: «إِنَّ أَسْبَغْتُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مَائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»¹²، فدكر النبي صلى عليه وسلم تجديد الدين نفسه، والمراد به الخطاب الديني، فالحديث يشير إلى أن تجديد الخطاب الديني هو ضرورة بشرية وسنة إلهية، لذا تتكرر على رأس كل مائة عام. ولنجاح هذا التجديد، يجب أن يقوم أساسا على النصوص الدينية والأسس العلمية ولا يخرج عن حماها، وأن يتجاوز ضيق العصبية المذهبية والإثنية إلى سعة الدين وسعة الإنسانية. وهذا ما يمكن أن نجد له منفسحا في الفكر الصوفي كما سينجلي لاحقا.

ثانيا- وظائف الخطاب الصوفي

يستهدف الخطاب الصوفي لدرجة الأولى إصلاح الباطن الإنساني وتقوية المعاني الروحية فيه، لشكل الذي تنعكس فيه أنوار طنه على ظاهره فيتصالح ظاهره مع طنه، ويتوازن جوهره مع مظهره، ويتم ذلك بعقد طن الشرع مع ظاهره. ويوظف الخطاب الصوفي لأجل تحقيق هدفه وظيفتين أساسيتين هما: الوظيفة الأخلاقية، والوظيفة الذوقية. وهي في الحقيقة وظائف يستخدمها الخطاب الصوفي في عمله، وفي نفس الوقت غايات يسعى هذا الخطاب لتحقيقها في ذات المتلقي.

المودودي، موجز تاريخ تجديد الدين، ص51.

المرجع السابق، ص52.

الأمير عبد القادر، **المواقف**، تح: بكري، (1/33).

رواه أبو داود في سننه، (رقم 4291) والطبراني في المعجم الأوسط، (رقم 6527)، وصححه السخاوي في المقاصد الحسنة (149).

1- الوظيفة الأخلاقية

أهم مبدأ يقوم عليه الخطاب الصوفي هو تقويم الأخلاق، استناداً لتعريف التصوف نفسه نه: "الدخول في كل خلق سَيِّئٍ، والخروج من كل خلق دَيِّنٍ".¹³ أو كما أجمعه ابن القيم - بقوله: "أجمعت كلمة الناطقين في هذا العلم أن التصوف هو أخلاق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الصفا... ومن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين".¹⁴ فالخلق هو قوام الدين إشارة إلى اختصاره ﷺ لمهمته النبوية كلها في تميم مكارم الأخلاق.

إذا كان الخلق هو قوام الدين، فإن التصوف هو الممارسة الحية لذلك القوام، ومنه فالهدف الأول والآخر للخطاب الصوفي هو بناء الإنسان الأخلاقي، أو بعبارة عرفانية: "الإنسان الكامل"¹⁵ الذي يتوافق ظاهره مع طنه وسريته مع علانيته، فيقول ما يفعل ويفعل ما يقول. ولا يقتصر الخطاب الصوفي في عمله هذا - كمعظم الخطات الدينية - على إلقاء المواعظ والاستشهاد عليها لنصوص الشرعية، وإنما يعمل على تفعيل تلك الأخلاق وتحسيدها، من خلال الممارسة الحية التي يراها القدوة (الشيخ)، وربطها بمقصدها وغايتها المتمثلة في تحقيق المحبة والقرب من تعالى ونيل رضاه، وهذا ما نلمحه في المنظومة النزوية الصوفية، التي نظمها أئمة التصوف وفق جملة من الأحوال والمقامات، تعين السالك على التخلق لأخلاق محمدية، والتحقق لكمال الرنية.

فالأخلاق التي يؤكد على تحقيقها الخطاب الصوفي ليست عملاً ظاهر بقدر ما هي مسائل قلبية محلها الروح أولاً قبل أن تظهر آرها على الجوارح، لذا كان أساس الأخلاق هنا هو التخلق خلاق تعالى. ويحرص الخطاب الصوفي على أن تكون عملية التخلق ذات بعدين: بُعد أفقي أي تخلق مع الخلق، وبُعد عمودي أي تخلق مع الحق. فأما الأول فببزك مساوي الأخلاق والتحلي بمحاسنها، وأما الثاني فبالالتزام لأوامر وترك النواهي سبباً على مقام المحبة.

2- الوظيفة الذوقية

ما يميّز التجربة الصوفية أنها لا تقتصر على الجانب النظري، بل تصرّ على تدوُّق الأحكام الإلهية، من خلال التطبيق العملي والممارسة الفعلية لها أثناء السير في مدارج السالكين والتزقي في معارج القاصدين، وذلك بزويض النفس وتهذيبها لمجاهدات البدنية والروضات الروحية، والتدرج في الأحوال، والتنزل في المقامات، وتخليّة الباطن من رذائل النفس، وتحليته بفضائل الروح، حتى يصبح القلب مهياً لتلقي أنوار القرب والمحبة الإلهية، وهو ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (لقمان: 20) فالنعم

¹³ سراج الدين الطوسي، **اللمع**، ص 45.

¹⁴ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، ج 2، ص 329-330.

¹⁵ تُعتبر الوظيفة الأخلاقية من وظائف الإنسان الكامل في الفكر الصوفي إضافة إلى الوظيفة الوجودية والوظيفة المعرفية.¹⁵

الباطنة "هي إشارات ومواهب يتلقاها السالك في سيره، تكون له دافعا على مواصلة التقرب، وزدة في التعلق بجناب المولى عز وجل، لما يجده من الأنس والتلذذ بمناجاته، وهو صريح الإيمان الذوقي."¹⁶

والذوق مقام من مقامات المعرفة لله تعالى، يكشف من خلالها السالك جمال الحق وجلاله، فيتصرف لجمال في مواطن الجمال، و للجلال في مواطن الجلال، ويحصل ذلك عن الاستغراق في العمل الشرعي، ودوام التأمل في التحليات الإلهية، والتزام الأدب في الظاهر والباطن، وبهذا البعد الذوقي يتجاوز الخطاب الصوفي النظر المجرد في استخلاص معاني النصوص الشرعية، فيسلك منهاجا متكاملا، يجمع فيه بين النظر العقلي كآلية لإدراك مقاصد الشرع، والعمل الشرعي كوسيلة للتعمق في خطاب الشارع، والتجربة الحية كمنهج للتحقق لكاملات الخلقية، فيكتسب السالك معرفة كاملة لا تتحكم فيها أهواء النفس. والحقيقة أن هذا البعد الذوقي متأصل داخل الخطاب الشرعي، حيث يذكر ابن تيمية أن "استعمال لفظ الذوق في إدراك الملائم والمنافر كثير. وقال النبي : «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ... فوجود المؤمن حلاوة الإيمان في قلبه وذوق طعم الإيمان أمر يعرفه من حصل له هذا الوجد. وهذا الذوق أصحابه متفاوتون، فالذي يحصل لأهل الإيمان عند تجريد توحيد قلوبهم إلى وإقبالهم عليه دون سواه بحيث يكونون حنفاء له مخلصين له الدين... وهو أمر لا يعرفه لذوق والوجد إلا من له نصيب، وما من مؤمن إلا له منه نصيب."¹⁷

فالتفاعل القلبي مع العقائد الإيمانية والأحكام الشرعية، واستشعار الأُنس لله تعالى دون سواه، من علامة الذوق الذي يوظفه الخطاب الصوفي ويحرص على إحيائه في طن المتلقي، لأجل تصحيح مساره السلوكي. الأمر الذي يجعل هذا الخطاب يسعى إلى تحصيل أدق المعارف التي يمكن أن يكتسبها الإنسان، وذلك من خلال معطين اثنين:

الأول: أن الخطاب الصوفي يحصن المعرفة الصوفية بعملية تطهيرية للقلب، لأن المعاني الصوفية الحقبة، تحصل بعد تخلية الباطن من النزوات النفسية، وتخلية الباطن والظاهر لأخلاق الحمديّة، وتحليات الأنوار الرنية. ﴿وَلْتَقُوا اللَّهَ وَبِعَلْمِكُمْ﴾ (البقرة: 282) فكلما تطهر القلب صقلت مرآته وتجلت عليها أنوار المعارف.

نبا: أن طريق المعرفة الصوفية ليس هو النظر العقلي المجرد، وإنما هو العمل القلبي والجوارحي المؤطر شراف المرشد المري (الشيخ) العارف الذي ليس فقط يدل السالك على الطريق، بل يصحبه في الطريق، ويربط غايته لحقيقة الكبرى سبحانه وتعالى.

¹⁶ ربيعة سحنون وطارق العلمي، منهج الإمام الجنيد في السلوك وخصائص الممارسة الصوفية بالمغرب، ص43.

¹⁷ أحمد ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (10/400، 401).

ثالثاً- التوفيق بين الأخلاق الصوفية وبين الاعتقادات والأحكام الشرعية (العبادات والمعاملات)

وبعبارة أخرى التوفيق بين التصوف والعقيدة والفقه، أو بين الإحسان والإيمان والإسلام. فالتأمل في التراث الصوفي يلاحظ منذ الوهلة الأولى كيف عمل التصوف عبر التاريخ على إضفاء حيوية على الجانب الفحوي من الممارسة الدينية، وذلك حدث يقظة على مستوى شعور المؤمن، من شأنها أن تُمدد العمل التعبدي سبب التفاعل الداخلي والذوق الوجداني، وذلك تقيداً لأحكام الشرعية، وعملاً لاجتهاد في الأوامر الإلهية، والسنن النبوية، حتى تصير تلك الأحكام أوصافاً خُلُقِيَّة طقة، يغدو العبد حينها نموذجاً لشرعية مُفعَّلة، ونبراساً لسنَّة حيَّة، اقتداءً بسيد الوجود الذي كان قرآً يمشي.

وقد اجتهد علماء التصوف منذ بدايته على التوفيق بين الممارسة الجوانية والممارسة البرانية للدين، وبين المعرفة والذوق في مناهجهم التعليمية والتربوية المسماة لطرق الصوفية، إدراكاً منهم بضرورة وصل الجوانب العلمية لقيم الأخلاقية، وربط الأسباب المعرفية لمقاصد الشرعية، لذا كانوا يستفتحون كتبهم لقاعدة النبوية: "إنما الأعمال لنيات" تلميحاً منهم إلى وكزية الباطن الذي يفني الصوفي حياته لإصلاحه وتزكيتة. كما أنهم اجتهدوا أيضاً على التوفيق بين التصوف والعقيدة والشرعية وعملوا على تصحيح مسار هذه العلوم، ويكفي أن نلقي نظرة على أشهر الكتب الصوفية، لنذكر كيف تناولت هذه الكتب مباحث العقيدة والشرعية (عبادة ومعاملة) وأضافوا إليها فقه القلوب والسلوك، وأشاروا في مجال العقيدة إلى لفتات تسمو لمؤمن من مقام التصديق إلى مقام الشهود، كوحدة الشهود، وتجليات الأسماء الحسنى والصفات الإلهية، والحقيقة المحمدية، وغيرها من المباحث التي يرى الصوفية أنها روح العقيدة ونبضها. ولعلَّ أبرز تصنيف في هذا السياق -إضافة إلى "الرعاية" للمحاسبي و"العلل" للحكيم الترمذي وغيرها- هو كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي الذي يمكن تصنيفه كأول مصنف في مجال تجديد الخطاب الديني؛ وكأن الغزالي أراد بهذا العنوان إحياء علوم ميتة وسعى إلى نفث الروح فيها من خلال ربطها لتصوف الذي يكمل نقصها ويسد ثغراتها ويعمق النظر في مقاصدها الكبرى.

هذا وعلى عكس ما يُشاع عن الصوفية من تحللهم من الشرعية، وأنهم يسمحون لقطيعة بين السلوك الروحي والحكم الشرعي إذا وصلوا إلى مقام اليقين، فإن الوقوف على أشهر التصانيف الصوفية يحيل إلى عكس ذلك، بل تدعوا إلى وجوب الجمع والتوفيق بين العقيدة والشرعية والتصوف إلى حد التداخل والامتزاج، فسيجوا الطريق الصوفي لالتزام لكتاب والسنة، حتى قيل: "بداية الطريق بداية التمسك لكتاب والسنة، ونهاية الطريق نهاية التمسك لكتاب والسنة"¹⁸. وقال الإمام الجنيد - مقولته المشهورة: "من لم يحفظ القرآن، ولم يكتب الحديث، لا يُقتدى به في هذا الأمر؛ لأن علمنا هذا مقيد لكتاب

¹⁸ أبو طالب المكي، قوت القلوب في معاملة المحبوب، (30/1)

والسنة¹⁹، وقال الإمام القشيري - في رسالته: "الشريعة: أمر لتزام العبودية، والحقيقة: مشاهدة الربوبية، فكل شريعة غير مؤيدة لحقيقة فغير مقبولة، وكل حقيقة غير مقيدة لشريعة فغير مقبولة. فالشريعة جاءت بتكليف الخلق، والحقيقة إنباء عن تصريف الحق. فالشريعة أن تعبد، والحقيقة أن تشهده. والشريعة قيام بما أمر، والحقيقة شهود لما قضى وقدر وأخفى وأظهر... واعلم أن الشريعة حقيقة من حيث إنها وجبت مره، والحقيقة أيضا شريعة من حيث إن المعارف به سبحانه أيضا وجبت مره." ²⁰ وقال أبو حفص الحداد: "من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت لكتاب والسنة، ولم يتهم خواطره، فلا تعدّه في ديوان الرجال." ²¹

ويقول المجاهد الصوفي الأمير عبد القادر الجزائري -: "طلبُ من الحق تعالى أن يجعل لي نوراً أكشف به حتى أعرف ما آتي وما أذر. فقال لي في الحين: ها هو ذا الكتاب والسنة. فانتبهت حينئذ لقوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ ذَٰلِكَ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة: 15، 16). فعرفت أن لا نور يرغب فيه الراغبون مثل الاستقامة على الكتاب والسنة، لأنه تعالى ضمن النجاة في العمل بهما، وما ضمنها في العمل لكشف." ²² ثم يستحضر قول أبي الحسن الشاذلي -: "إنه يرد عليّ الوارد فلا أقبله إلا بشاهدين عدلين، وهما: الكتاب والسنة... وإن طوق الشريعة لا يزول عن رقبة عارف ولا مكاشف ما دام بدار التكليف." ²³ ويحذّر الأمير من ادعاء التصوف فيقول: "وكل من ادّعى أنه شمّ رائحة من طريق أهل تعالى ولم يزد للشرع تعظيماً، وللسنة اتباعاً، فهو مفترّ كذاب." ²⁴

وعليه فإن المنهج الصوفي لا يفرق بين الاعتقاد والشرع والسلوك الأخلاقي والروحي، بل يرى أن الدين يكتمل بتكامل هذه المجالات معاً، ويرتكز على التوفيق بين الشريعة والحقيقة والطريقة، والمزاوجة بين العلم الشرعي والتحقق بمقاصده العليا، وإلى ذلك تشير المقولة المعروفة التي تُنسب إلى الإمام مالك²⁵ -: "من تفقه ولم يتصوف فقد تفسّق، ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن جمع بينهما فقد تحقّق." ²⁶ فوظيفة علم التصوف هي بعث الروح في جسد الدين، ومراقبة القلب الذي هو محل النظر الإلهي، من خلال استحضار الحال في الاعتقاد والعبادة والمعاملة، لذا يُسمى بعلم الأحوال، وهو ما أشار إليه سيد الوجود

¹⁹ عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، ص 80.

²⁰ عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، ص 168.

²¹ جلال الدين السيوطي، تأييد الحقيقة العلية وتشبيد الطريقة الشاذلية، ص 71.

²² الأمير عبد القادر، المواقف، (62/1).

²³ المرجع السابق، (62/1).

²⁴ المرجع السابق، (39/1).

²⁵ من المستبعد أن يكون الإمام مالك هو صاحب المقولة، لأن مصطلح التصوف لم يكن معروفاً في زمنه.

²⁶ أحمد زروق، قواعد التصوف، ص 22.

حين قال: «مَا سَبَقَكُمْ أَبُو بَكْرٍ بِكَثْرَةِ صَلَاةٍ وَلَا صِيَامٍ، وَلَكِنْ بِشَيْءٍ وَقَرَ فِي قَلْبِهِ»²⁷. ويقول المودودي: "إن علاقة الفقه إنما هي بظاهر عمل الإنسان فقط، ولا ينظر إلا هل قمتَ بما أمرتَ به على الوجه المطلوب أم لا؟ فإن قمتَ فلا تهمه حال قلبك وكيفيته، أما الشيء الذي يتعلق لقلب ويبحث عن كيفيته فهو التصوف."²⁸ أي أن التصوف هو الذي يهتم بحال القلب أثناء العبادة وأثناء الاعتقاد أيضاً.

فعلم العقائد حين يحدثنا مثلاً عن أسماء الحسنى وصفاته العلى، فإنه يحدثنا على أنها اعتبارات ونسب مجردة تُضاف إلى تعالى، ومنتهى البحث العقدي هو الإثبات؛ أي إثبات ن لله تعالى أسماء وصفا تليق بجلاله، ولا يتجاوز إلى مقام تفعيل تلك الأسماء في السلوك الإنساني. أما التجربة الصوفية فهي تمنح الذوق والشعور بهذه الصفات وتجعلها حقائق طقة، وأرواحا مشرقة، تفيض على أصحابها نوارها، وتكسوهم من فيض جمالها وجلالها وكماها، من خلال التمدج بها ومحاولة تجسيدها في سلوك الإنسان وجميع تفصيل حياته، وذلك وفق ثلاث صلات وضعها الصوفية هي: التعلق، والتخلق، والتحقق؛ أي التعلق بمعنى الأسماء حباً وفهما وشوقاً وذكرًا ومراقبة، والتخلق بمعانيها على قدر الطاقة البشرية حتى تشرق أنوارها، ثم التحقق بما بحيث يصير المؤمن متحققاً لاسم متمثلاً به لا يفارقه أبداً لانتفاء أوصافه في أوصاف الخالق، فيرتقي المؤمن من مقام التصديق إلى مقام الشهود، ومن مقام الإيمان إلى مقام الإحسان، فيعبد كأنه يراه. لذا قال الإمام الشبلي -: "ما رأيت شيئاً إلا رأيت"²⁹، فالصوفي يشاهد تلك الأسماء والصفات متجلية في كل ثنا الكون، فلا يرى شيئاً في الكون إلا ويرى صفة من صفات الحق حاضرة متجلية؛ فإذا رأى الماء رأى اسمه تعالى القيوم، وإذا رأى الشمس رأى اسمه تعالى النور واسمه الرزاق، وإذا رأى أما حنو رأى اسمه تعالى الرحمان والرحيم، وإذا رأى طهارة رأى اسمه القدوس، وإذا رأى وردة جميلة رأى الجميل، وإذا رأى معلومات رأى العليم... وقس على ذلك بقية الأسماء.

كذلك لنسبة للفقه، فإذا كان يحدثنا عن أحكام الصلاة مثلاً، وعن كيفية أدائها ظاهر، فإن التصوف يؤكد على استحضار الحال أثناء هذه الصلاة، من خلال تلازم القلب والجوارح، أي الظاهر والباطن، لذا يسمى التصوف بعلم الباطن، وعليه نجد في كتب القوم ككتاب الفتوحات المكية لابن العربي أو الإحياء للغزالي أبوا كاملة تتحدث عن أسرار العبادات وبواطنها؛ كأسرار الصلاة، وأسرار الحج... وغيرها من العبادات. ويقول المودودي: "إن الفقه لا ينظر في صلاتك مثلاً إلا هل أتممت الوضوء على الوجه الصحيح أم لا؟ وهل صليت موليّاً وجهك شطر المسجد الحرام أم لا؟ وهل أدّيت أركان الصلاة كلها أم

أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول، من قول بكر بن عبد الله المزني، (رقم 127).²⁷

المودودي، مبادئ الإسلام، ص 140.²⁸

نيكلسون رينولد، الصوفية في الإسلام، ص 63.²⁹

لا؟... فإن قمت بكل ذلك فقد صحت صلاتك بحكم الفقه. لكن الذي يهتم التصوف هو ما يكون عليه قلبك حين أدائك هذه الصلاة من الحالة: هل لُنْبِتَ فيها إلى ربك أم لا؟ وهل تجرد قلبك فيها عن هموم الدنيا وشؤونها أم لا؟ وهل أنشأت فيك هذه الصلاة خشية واليقين بكونه خبيراً بصيراً وهل فعلت ابتغاء وجهه الأعلى وحده أم لا؟³⁰ وإلى ذلك نبّهت الحديث الشريف: «مَنْ لُمْتَنَّهُ صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ فَلَا صَلَاةَ لَهُ»³¹، فالعبرة بما تثمره العبادة من حال قلبي وسلوك أخلاقي، وليس مجرد فعلٍ للجوارح. وقل مثل ذلك في بقية العبادات وكيف يحرص التصوف على تذوقها وروحنتها، وجعلها محطات للاتصال والوصال والقرب من جلت عظمته.

فبالفقه ينضبط الظاهر، و لتصوف ينضبط الباطن، والفقه يصحح أعمال الجوارح، والتصوف يصحح أعمال القلوب، والفقه يوضح الطريق، والتصوف هو زاد الطريق. والتصوف هو الذي يصحح مفهوم العبادة، ويضفي عليها المعاني الذوقية، لأن مفهوم العبادة يتجاوز الحركات الظاهرة، إلى التفاعل والمعاشية والشوق للمولى عز وجل، اعتبار أن العبادات مواضع قرب ومواطن تلقى للأفضال الإلهية، فترتقي من واجبات حتمية إلى أرحنا بها بلال.

وكذلك لنسبة للمعاملات، فإن التصوف حريص على سيسها على الآداب والقيم الروحية، وتخليّة القلوب عن الرذائل، وتحليلتها لفضائل، لأن التصوف في جوهره فكر نقدي أساسه النقد الذاتي، وهذا من شأنه أن يجعل الفرد متميزاً بوعي كبير لمسؤولية الاجتماعية، و لاتصاف لصدق في كل أحواله، لذا أرجع الشيخ زروق كل تعاريف التصوف إلى "صدق التوجه إلى". ومن هنا نجد أبوا كاملة في كتب القوم حول الحسد والعجب والكبر والحقد وحب المنزلة بين الخلق... وغيرها من أمراض القلوب المهلكات، وكيفية التحلي عنها. كما نجد في المقابل أبوا أخرى في الصدق والحياء والحبّة، والفتوة، والتواضع... وغيرها من أعمال القلوب المنجيات وكيفية التحلي بها، و كتمال التحلي والتحلي يتحقق التحلي أي يرتقي السلوك إلى معرفة، وتتحوّل القيم الصوفية إلى قيم إنسانية قابلة للتعميم في كل مجتمع إنساني بما هو كذلك. وعليه فإن علم التصوف يرتبط لإنسان من حيث إنسانيته، و لتالي لا يمكن الاستغناء عنه لأنه طلب للكمال، وترك الكمال هو توجه نحو الدنو والانحدار.

فمنهج التصوف إذن، يتصل بكل تفاصيل الواقع والحياة الدينية والدينيوية، وهذا من شأنه تخليق الحياة العامة ونمذجتها، خاصة بعد أن لدغ العالم من سمّ الفصل المزيف بين القيم والممارسة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، مما جعل إنسان الحضارة المعاصرة يحمل شخصيتين متناقضتين، ويعاني من انفصام

³⁰المودودي، مبادئ الإسلام، ص140.

³¹أخرجه الطبراني في الكبير، (رقم 11025)، وأبو داود في الزهد، (رقم 134).

بين ما يؤمن به وما يقوم به، يؤمن بشيء و تي بنقيضه، والمنهج الصوفي إدانة صريحة لمثل هذا الفصام القيمي، بل هو دعوة صارخة إلى التناغم والانسجام بين الجواني والبراني.

ويمكن لكل متحول في ثنا الموروث الصوفي أن يلمح ذلك التناغم بين التصوف كمنج للحياة وبين تشكالاتها وتفصيلها، ذلك أن رات الاقتصاد الإسلامي أم ازدهاره كان الذين يحملونها هم من أئمة التصوف الإسلامي، وكانت ألقاب الكثير منهم تشير إلى هذا كاليزار والحداد والحراز والغزالي وغيرهم، وكانوا في نفس الوقت رواد المدد الدعوي، والإصلاح الاجتماعي، والعمل التربوي، وكذلك نسبة للجهاد المتين فقد كانوا هم قواده على غرار الإمام أبي الحسن الشاذلي، وابن قسي الأندلسي، ونور الدين زنكي، والأمير عبد القادر الجزائري، وشامل القوقازي، ومحمد بن علي السنوسي، والشيخ ماء العينين وغيرهم. ومن هنا يتأكد أن عمل المنهج الصوفي يركز على إعادة النظر في العقائد الإيمانية والأحكام الشرعية والمعاملات الإسلامية والإنسانية وربطها لقيم الأخلاقية والجوانب الروحية.

رابعاً- دور التصوف في روحنة الخطاب الديني وتجاوز الخطابات الإقصائية

يعيش المسلم اليوم أزمة روحية وقيمية غير مسبوقه، نتيجة سيطرة النزعة المادية على الإنسان المعاصر وزهده في مكنز الروح، كما يعيش تيهاً في وسط دوامات تدينية: تدين متعصب يعيب للعقل، تدين حدائي يعري الدين من قداسته وسماويته، تدين مفرط في الروحانيات وإتهاك الجسد نواع الرضات والمجاهدات، التدين الشكلي، وغيرها من أشكال التدين الناتجة عن تعدد وتنوع الخطات الدينية، وأتسام كل خطاب لنزعة الإقصائية، والصبغة الفرعونية، والادعاء ولوية الاتباع.

في ظل هذا الواقع المضطرب يمكن لمبادئ التصوف أن تؤدي دورا هاما في روحنة الخطاب الديني وجعله خطا يخرق القلوب قبل الأسماع، نختصرها في أربعة مبادئ هي: مبدأ المحبة والسلام، مبدأ الإنسانية، مبدأ الوسع الإلهي، ومبدأ التجلي.

1- مبدأ المحبة والسلام

يرتكز المنهج الصوفي أساسا على مبدأ المحبة، عتبارها أصل الوجود³² استنادا للحديث القدسي الذي ينمي في العقل الصوفي فلسفة الحب الكونية، حيث يقول تعالى على لسان نبيّه الأكرم : «كُنْتُ

هذا المبدأ الصوفي بدأ يتحقق في عصر الفيزياء الكمومية وصلتها بعلم الكون، إذ تتداول بكثرة في هذين العلمين كلمات: الحب والعشق والتصوف، للدلالة على طبيعة العلاقات التي تشد الذرات ومكوناتها إلى بعضها بعضا. حيث يقول العالم الفيزيائي: فري بينو في كتابه: إبداع الفنان: نظرة شمولية للكون: "كانت الكواركات قد تجمعت لتشكّل البروتونات والنيوترونات التي اتحدت بجاذبية تشبه العشق بشدتها، كان الحب تفجر في أعماق الكون للمرة الأولى": ص104، ويضيف: "إن ما يحافظ على الذرة هو -بشكل ما- حادثة حب، هي الجذب بين الشحنات الموجبة للبروتونات والشحنات السالبة للإلكترونات... والذرات أشبه بالعاشقين، لا تتحد إلا إذا هُجّت"، ص118، 119، ثم يقول في سياق حديثه على الفيزياء الكمومية وعلى لغة التعبير عن مفاهيمها: "لا يمكننا أن نعبّر عنها إلا بلغة رمزية صوفية أو رياضية"، ص80. ولذلك يؤكد العالم الفيزيائي أينشتاين بأن: "الإنسان الذي لم يختبر وقفة من وقفات الصوفية حيال العالم، ولم يشعر نحوه بالروعة والإيمان هو حي حكمه حكم الميت". يُنظر: جواد المرابط، التصوف والأمير عبد القادر، ص14.

كَنْزًا مَخْفِيًّا فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَفَ فَخَلَقْتُ الْخَلْقَ وَتَعَرَّفْتُ إِلَيْهِمْ فِيَّ عَرَفُونِي»³³، فالحق تعالى أحب أن يعرفه خلقه، فاندرج الحب فيما خلق، ومن ثم صار الحب سار في كل الموجودات، فبالحكمة الحبيبة خلق العالم وتجلت في مرآته أسماءه وصفاته، ومنه كان حب المخلوق لخالقه ليس سوى شوق للعودة إلى المحبوب الحقيقي. والتصوف من حيث هو حب، والحب من حيث هو أصل الوجود يمثل قوة محورية جاذبة للإنسانية التي اكتوت بنار الكراهية، نحو التحرر من الطاقات السلبية الهدامة، والتحقق بطاقة الحب الإيجابية البناءة.

وعليه فإن التجربة الصوفية تجعل من ممارستها إنسا محباً، ليس لله فحسب، وإنما يتسع حبه ليشمل الكون كله، فتكون أفعاله كلها صادرة عن الحب وشهود الحق تعالى، فهي ممارسة لصحبة الكون والخلق، حتى غضبه وعقابه يكون عن حب كعقاب الأم الحنون لولدها، هدفه الإصلاح والبناء لا الهدم والإفساد، فإذا رسخ هذا المعنى الراقي في الذات الإنسانية "رسوخ ذوق وسلوك، لا رسوخ فكر وحسب، فإنها ستجد لها صدًى إيجابياً نحو... أدبيات الصراع وأخلاقياته بين الأ والآخر، فإن كان ولا بد من الصراع فليكن صراعاً إنسانياً رحمانياً، لا صراعاً شيطانياً يدمر الأخضر واليابس."³⁴

ولنا أن نتصقح التاريخ الصوفي لنستشف ذلك الأثر البالغ للتصوف في تمكين الروابط الروحية بين جميع المكونات الثقافية والاجتماعية والقبلية للكثير من المجتمعات التي كانت تمارسه وتتخذ منهجاً حياتياً، وكان ذلك تحت لواء المحبة والسلام. لأن المحبة هي حقيقة الدين وجوهره، وهي غاية النزبية الروحية والسلوك الصوفي، وذلك لسير لمريد عبر مقامات النزبية وأحوال التوكية حتى يصل إلى تحقيق مقام المحبة في نفسه؛ خلقاً تعبدً يتجلى في كل حركاته وعلاقاته، بما هي علاقات وتصورات ومشاعر أيضاً، لأن المحبة لا تلزم في الوجدان الروحي حداً معيناً، بل تفيض مواجدها فتعكس في السلوك العام للإنسان فتشيع الاستقامة والمحبة والإخاء بين البشر وامتصاص التطرف والعداء، وهذا هو سر القوة والتميز في النزبية الصوفية.

ويكون السلوك لناس في الطريق الصوفي، لتدرج بهم في المقامات والأحوال أمراً أساسياً لتنظيم الشأن الديني والاجتماعي والعلاقاتي، ولتهذيبهم حتى تصفو أرواحهم ويتحققوا محبة خلّة ومقاماً بتاً، لأن مجتمعا يسوده خلق المحبة لا يصدر عنه ما يمزق نسيجه الاجتماعي والإنساني، بغض النظر عن اختلاف عقائد أفرادها وايدولوجياتهم. وهو ما يقرره القرآن الكريم نفسه حين يؤكد على علاقة السلام واحترام

أورده العجلوني في كشف الخفاء، (2016)، وقال: قال ابن تيمية: لا يُعرف له سند صحيح ولا ضعيف، وتبعه الزركشي والحافظ ابن حجر والسيوطي وغيرهم، وقال القاري: لكن معناه صحيح مستفاد من قوله تعالى: "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" أي ليعرفوني كما فسرها ابن عباس.

أمين يوسف عودة، التصوف شهوداً وحبا وخطاباً، ص26.

الإنسان، ويشير إلى ضرورة تقديم العلاقة الإنسانية على الخلفيات الدينية؛ فيقول تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ (النساء: 94).

لكن مع ضهور ثقافة السلام في الخطات الدينية المعاصرة، وانتشار ثقافة التكفير وهيمنتها على الذهنيات، وتوظيف العنف لإقصاء الآخر، صارت الحاجة أكثر إلحاحاً إلى تفعيل مبدأ السلام في تجديد الخطاب الديني وإعادةه إلى أصله الذي أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [آل عمران: 159]، تلك الثقافة يمكن أن نجد لها منفسحاً في المنهج الصوفي الذي يؤكد على التكامل والوحدة الإنسانيين، ويدعو إلى المحبة والسلام والتعايش وقبول الآخر وفق الحد الأدنى من المشزكات، لأن السلام من أسماء الحسنى، والسلام مقصد من مقاصد الإسلام في السلوك، كما إن استراتيجيات التعايش في الإسلام تنطلق من قوله تعالى: ﴿قُلْ أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 64) وهذا هو أول نداء إسلامي للسلام والتعايش بين الحضارات. ولتحقيق ثقافة السلام أمر نبي الرحمة المسلمين فشائه فقال: «سَلِّمْ عَلَى مَنْ تَعْرِفُ وَعَلَى مَنْ لَا تَعْرِفُ»³⁵.

كل هذه الحيشيات متجذرة في الخطاب الصوفي، وها هو الشيخ حمزة البودشيشي - يقول: "وددت لو توسد الناس كلهم وسادة واحدة"، ويقصد لناس: العالم سره، أي لا يوجد شرق وغرب وشمال وجنوب وغيرها من الفروق، وإنما هناك دار الإنسان. لذلك كان أتباع الطريقة البودشيشية يهتمون بأورادهم دائماً اسمه تعالى "سلام"، وفي ذلك تربية للمريدين على التخلص والتحقق لمعنى الربي السلام.³⁶

2- مبدأ الإنسانية

يقرر الإمام علي كرم وجهه - وهو الذي تنتهي إليه جل أسانيد الطرق الصوفية - أن: "الناس صنفان: إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق"³⁷ أي في الإنسانية، فإن لم تتسع الأخوة في الدين لتستوعب الآخر، فالأخوة الإنسانية تتسع للجميع. وعليه يتأسس العرفان الصوفي في بعده الاجتماعي وبعده الأممي والإنساني على وحدة الحقيقة الإنسانية في كل البشر، وعلى شمول الرحمة الإلهية التي وسعت كل شيء، ورؤية الوحدة في الكثرة، والكثرة في الوحدة، وتناغم الكائنات، ورؤية المؤلف في المختلف، والاهتمام لحوار الإنساني، وغيرها من الأسس العرفانية التي تمكن المسلمين من المشاركة في صياغة الحياة المنسجمة.

³⁵ باب إطعام الطعام من الإسلام، (12). رواه البخاري، كتاب الإيمان،³⁵

³⁶ خالد ميار الإدريسي، الدبلوماسية الروحية في خدمة الأمان العالمي، (مقال).

³⁷ علي بن أبي طالب، نهج البلاغة، ص 622.

لذلك يختص الخطاب الصوفي لأفق العالمي والانفتاح على الآخر، وهذا لا يعني زوال هويته الإسلامية أو التوحيدية كما يزعم البعض، وإنما يؤكد عمق التجربة وتحذرها في المخيلة الإنسانية. فالخطاب الصوفي لا يعترف لفروق بين بني البشر، بل يستقطب الجميع بلا استثناء، وهذا الملمح نلمسه - كمثال - في سيرة واحد من أكثر الشخصيات الصوفية ثيراً، وهو مولا جلال الدين الرومي -، ذلك الإنسان الكوني الذي مثل العولة الإنسانية في أسمى صورها، حين كان يحضر في مجالسه مختلف الأجناس ختلاف د تم واتجاهاتهم وأفكارهم و"استطاع بخطابه الصوفي اختراق إيديولوجيا المتلقي الدينية أو المذهبية أو الفكرية أو أية إيديولوجيا من شأنها أن تحد من أفق الأفكار، وأن تختزل رؤاها في اتجاه واحد يفضي إلى إقصاء الآخر، فقد كان الرومي يُسمع المتلقي صو غير صدى صوته، ويطلعه على عوالم أعمق من عالمه الفكري الضيق وأرحب وأشرف. وهو خطاب إنساني لأنه يلائم فطرة الإنسان الأولى الماثلة في محبة خالقها، ويرمي إلى المحافظة على الوجود الإنساني وتكميله بصفات الكمال والجمال، ويلائم الناس جميعاً على اختلاف أجناسهم وألوانهم وأزمانهم وأماكنهم ومعتقداتهم، ويتوجه إلى الإنسان عتباره غاية في ذاته".³⁸

وقد أسهم هذا الطابع العالمي والإنساني للتصوف الإسلامي في دخول الناس في دين الإسلام أفواجا، فكان لثراث الرومي -مثلاً- الأثر الأكبر في اقتناع الداعية الإسلامي الكبير رجاء جارودي بدين الإسلام، وكذا السيدة الفرنسية "إيفا دوفيتزي ميروفيتش" التي ترجمت أعماله إلى الفرنسية، وغيرها. كما يرجع الفضل في انتشار الإسلام في الملبيا والمويلا والمالديف من بلاد الهند إلى جهود الصوفي الورع مالك بن دينار، وغيرها من الأمثلة الكثيرة التي تحكي فتح الصوفية للقلوب والأرواح قبل فتحهم للبلدان.

فالمنهج الصوفي يعيد قراءة النصوص الدينية في اتجاه إنساني كوني، ويسعى إلى صناعة حياة تهدف إلى التوافق دون إقصاء لأحد، ويبني الإنسان المحسن المتشبع بثقافة الوسع الإلهي، وعقيدة عموم الرحمة وشمولها، وغيرها مما تقتضيه الممارسة الإحسانية؛ ذلك الإنسان الذي لا يكره أحداً لأنه تحقق لتوافق مع ذاته وارتقى إلى الاندماج مع الآخر والتواصل معه ومجاورته. وهو المقام الذي اختصره الشيخ الأكبر بقوله: "لن تبلغ من الدين شيئاً حتى توفق جميع الخلائق ولا تحتقر مخلوقاً ما دام قد صنعه".³⁹ وهو ما أكده الأمير عبد القادر الجزائري حي قرر "أنه لا يستقيم لمن فتح عين بصيرته أن يهجر شيئاً من المخلوقات، ن يحتقره ويزدرية ويجعله كالشيء اللقي. فإن هذا لا يصح من عارف مشاهد، كان من كان ذلك المخلوق، حيوا أو غيره وعلى أي دين كان، وعلى أية ملة ونحلة حصل، فإنها كلها شعائر ، ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ

³⁸ أمين يوسف عودة، نقد النزعة الانسانية عند جلال الدين الرومي، (مقال).

³⁹ سواح في دنيا الله، مصطفى محمود، ص7.

إِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿ (الحج:32)، أي من يعظم مخلوقات التي هي شعائره، فإن ذلك التعظيم من تقوى أهل القلوب، وهم أهل الشهود... وما قال تعالى فإنها من تقوى أهل العقول، ولا من التقوى.⁴⁰ هذه الخطات الإنسانية أساسها عقيدة صوفية مفادها: تساوي النفوس البشرية كلها في الشرف من حيث الأصل، لذا علّل الشيخ محيي الدين بن العربي، وقوف النبي لجنّازة اليهودي وقوله حين سئل عن ذلك «أَلَيْسَتْ نَفْسًا؟»، أن النفس الإنسانية: "منفوخة من الروح المضاف إلى بطريق التشريف، فالأصل شريف. ولما كانت من العالم الأشرف قام لها رسول صلى عليه وسلم لكونها نفساً، فقيامه لعينها، وهذا إعلام بتساوي النفوس في أصلها."⁴¹

3- مبدأ الوسع الإلهي

تنبس ثقافة الوسع الإلهي من الرؤية الصوفية لصلة الإنسان لأسماء الحسنی، التي توجب على السالك التخلق والتحقق بمعانيها، لأجل أداء الوظيفة الوجودية التي خلّق لأجلها الإنسان وهي الخلافة التي تتوقف على تمام التخلق خلاق المستخلف سبحانه وتعالى، امثالاً للنداء النبوي: «تَخَلَّقُوا خَلْقَ»⁴²، ومن بين أسمائه عزّ وجل: اسمه تعالى "الواسع"، وهو المشار إليه لوسع الإلهي، الذي من مقتضياته الاتساع لكل البشر زهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، وهو الذي يمدّ هؤلاء وهؤلاء بما يتطلبه استعداد كل فريق منهم، وهو الذي وسعت رحمته كل شيء وسبقت كل شيء. ومن هنا قال الجنيد حين سئل عن معنى الصوفي: "الصوفي كالأرض، يطؤها البر والفاجر، وكالسحاب يظل كل شيء، وكالقطر يسقي كل شيء. وهو كالأرض يُطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها إلا كل مريح."⁴³ لذلك لا يسمح الصوفي لنفسه أن يشتغل بخلاصه الفردي أو بخلاص طائفته فقط، بل يوجب على نفسه الانفتاح على المجتمع التعددي المحيط به، والإسهام فيه كحامل لرسالة الإسلام في بعدها الأخلاقي والقيمي والإنساني والكوني.

وليس خافياً أن ما يشهده العالم المعاصر عموماً والأمة الإسلامية بشكل خاص، من صراعات وتفككات واعتداءات ومختلف صور الكراهية، ما هو إلا تجع عن التعصب للأمتضخمة جزاء غياب التحقيق بمبدأ الوسع الإلهي، الذي يفسح المجال للآخر، ويعترف بوجوده. أما إذا رجعنا إلى السادة الصوفية فإننا نجدهم يؤسسون السلوك الصوفي على توثيق الصلة لأسماء والصفات الإلهية: تعلّقاً، وتخلّقاً، وتحققاً، لذا فإنهم ومن خلال تحقيقهم لوسع الإلهي، مقتنعون أنه لا يقوم الائتلاف إلا في ضوء الاختلاف، وأن الاختلاف هو آية من آيات الخلق، وسبيل إلى التحرر والتطور، وأداة للتعرف، وهو نعمة ورحمة إلهيتين، بل

⁴⁰ الأمير عبد القادر، المواقف، (1/ 141، 142).

⁴¹ الفتوحات المكية، ابن العربي، (2/ 220، 221).

⁴² أخرجه الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة، (رقم 2822). وقال: "لا أصل له."

⁴³ عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، ص 466.

وهو سنة إلهية لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ (هود: 118-119).

ومما تفتن إليه علماء الصوفية أيضا اختلاف مستويات المعرفة واختلاف الإدراك وتغاير التلقي؛ وذلك حينما قسموا المعرفة إلى ظاهر يطفو فيه المعنى على السطح، وطن يتوارى فيه المعنى إلى الأعوار، ومع ذلك فهم - من باب الاعتراف لآخر وحقه في امتلاك المعرفة - لم يقصوا الفهم الظاهري، ولكنهم لم يجعلوه الفهم الوحيد، وشعارهم مع الآخر: "لا نجادهم بل نرحمهم، ونستغفر لهم، ونقيم لهم العذر من أنفسنا في إنكارهم علينا."⁴⁴

فالخطاب الصوفي يؤمن لاختلاف من حيث هو أصل الوحدة، ويفسح المجال للآخر ويحاول الانتقال من وهم الاختلاف إلى الهوية الكونية، من خلال التسامي فوق الأ إلى التسامح والاعتراف بحق الاختلاف. وبهذه الرؤية يمكن الرجوع لخطاب الديني إلى معينه الأول، الذي جاء به نبي الرحمة والذي اتسع لكل الناس، بل لكل المخلوقات؛ حتى سلم عليه الجبل، وأن الجذع الذي كان يتكئ عليه وحن إليه وإلى نور خطابه .

وبهذه الرؤية كذلك يتم الانعتاق من الذاتية والإثنية الضيقة، ويتحقق التحرر من استسلام الذهنيات للانتماءات السياسية والفكرانية والعرقية والجغرافية وغيرها من الانتماءات التي تحجب القلب وتظلم العقل، ويتم فسح المجال لإنشاء ثقافة الحوار البناء وتنوع الأفكار والآراء والاتجاهات وتفاعلها، على نحو يستوعب الجميع، لقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة: 256). ولذلك يتعامل الصوفية مع الطوائف الأخرى الإسلامية منها وغير الإسلامية - من باب المغايرة والاختلاف - تعامل الموجود لفعل، وعمل العرفان الصوفي، داخل الفكر الإسلامي على إعادة تشكيل مفهوم الحقيقة الدينية وخلخلة وهم الامتلاك الحصري للحقيقة الدينية. لذا لا يوظف الصوفية التكفير لأنهم أدركوا معنى الآية القرآنية ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ (الإسراء: 44).

4- مبدأ التجلي

تقوم الرؤية الصوفية للكون والإنسان على نظرية التجلي؛ أي تجلي الحق سبحانه وتعالى سمائه وصفاته في الكون، وأكمل مجلى له تعالى هو الإنسان الذي حمل أمانة الخلافة التي أبت السماوات والأرض أن يحملنها وأشفقن منها. "والصوفية في مقامات انجذابهم إلى عالم الحضرة الإلهية، وارتقائهم عن المحسوسات والأحكام الدنيوية لا يرون في الكون نقصاً ولا قبحاً، ولا يشاهدون بعين القلب إلا الجمال الإلهي متجلياً في كل شيء، مهما جلَّ هذا الشيء أو دقَّ، والسرُّ في هذه المشاهدة القلبية التي لبصيرة لا البصر، هو

⁴⁴ الأمير عبد القادر، المواقف، (1/ 11، 12).

ذلك الإيمان الصوفي العميق ن هو الجوهر الحقيقي للوجود، وما عداه من الأغيار ومما سواه يتوقف وجودها على شرط كونها تجليات إلهية، وفقاً لثالث الذات الإلهية : الجمال، الكمال، الجلال"45.

فالصوفي بزقيه عن المحسوسات يشعر بنوع من الذوق الإدراكي المرتبط لفناء بتجلي حلت عظمته في الموجودات جميعها، وأن حاضر سمائه في كل شيء، وعليه فلا يطيق فكره الفساد والإفساد، لإيمانه الجازم ن الإفساد في الكون هو إفساد في صور تجلياته تعالى.

وإذا آمن الصوفي بجرمة الإفساد في الكون لأنه مرآة للتجلي الإلهي، فإن الإنسان المكرّم إلهياً أولى لحفاظ عليه لأنه أكمل مجلى إلهي، لذا يؤكد الخطاب الصوفي على مركزية الإنسان في الكون، لأن الحق حوّله أعظم وظيفة هي الخلافة، المتوقفة على كمال التحقق خلاق الإله المستخلف، فيتخلق سمه تعالى "الرحمان" فيكون رحمة تمشي بين الخلق، ويتخلق سمه "السلام" فيكون لمجتمعه أداة سلم وأمان ومصدر سلامة واطمئنان، وإذا كان من مفاهيم "السلام" السلامة من النقص والعيب، فإن الصوفي يجتهد في تطهير نفسه وتكميلها، والعمل على ترقيتها وتهذيبها ن يسلم جوارحه من الاعتداء والآم، وقلبه من الخواطر والأوهام. ويتخلق سمه تعالى "الواسع" فيتسع قلبه لجميع الخلائق. وقس على هذا بقية الأسماء الحسنى والصفات العلى وكيف تفعل فعلها في المتخلق بها.

بهذه المبادئ التي يقوم عليها المنهج الصوفي في خطابه، يمكنه أن يسهم مساهمة طيبة في تجديد الخطاب الديني، من خلال روحته وإعادة إحياء الجوانب الميتة فيه. فمبدأ المحبة من شأنه أن ينهي سيناريو الكراهية الذي تروجه الخطات الإقصائية المعاصرة، وما تقوم به من تصنيف للناس في خات الكفر والزندقة والتبديع، وانتشار ما يسمى بتجريح العلماء إلى حد استحلال دمائهم، ووجوب هجرة المبتدع إلى حد قطع الأرحام، وغيرها من الممارسات التي تنقّر وتعمّس من حيث تظن أنها تبشّر وتيسّر.

ومبدأ الإنسانية من شأنه أن يفسح المجال لجميع الأطياف للاستفادة من الخطاب الديني بغية التجسير التقريب، ليس فقط بين المذاهب ولكن بين جميع بني الإنسان. كذلك الأمر لنسبة لمبدأ الوسع الإلهي، فإنه يمكن الخطاب الصوفي من أن يستقطب ويحتضن أكبر عدد ممكن من المتلقين، لأنه يعيد الناس إلى أصلهم الأول: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ (البقرة: 213). وأما مبدأ التجلي فهو الجامع لجميع المبادئ السابقة؛ فالاعتقاد بتجلي تعالى بصفاته في الكون والإنسان يثمر محبة لجميع المخلوقات لأنها مرا الحق.

خاتمة

لعل مهمة الخطاب الصوفي تتأكد انطلاقاً من إخفاق الكثير من الخطات الإسلامية المعاصرة عن اقتراح نموذج إنساني كوني، وعن تحويل الإسلام لنسق مفتوح. فانتشار ما يسمى لإرهاب الإسلامي،

45 يوسف زيدان، دوامات التدين، ص 259.

وطغيان دولة الفكرة على دولة الإنسان، وانتشار النزعة الفردية والنزعة التكفيرية، وانتعاش الفكر الخارجي من جديد، كل هذا يجعل الحاجة ماسة لإعادة إحياء الخطاب الصوفي العرفاني، القادر على ترسيخ قيم التسامح والتعايش والمحبة والجمال، وتنقيس البشرية من الاختناق الحضاري، والحدّ من نزق الأيديولوجيات وضيق أفق المعتقدات بناء على المبادئ التي يقوم عليها، كما يمكنه أن يحافظ على الإنسان عتباره جوهرًا وقيمة في ذاته، فيبقى الإنسان مجردًا عن أي انتماء، متساميًا فوق كل الأفكار والمعتقدات والخلفيات الجاهزة.

إن المنهج الصوفي وما يقوم عليه من مبادئ: المحبة، والسلام، والوسع الإلهي، والإنسانية، لكفيل أن يشارك مشاركة فعالة في إنقاذ الإنسانية من غرقها المادي، والعمل على روحيتها، وربطها الحقيقة الكبرى والغاية التي خلقت من أجلها وهي الخلافة وما تتضمنه من عبادة ومعرفة وعمارة، فلا يبقى مجال لمظاهر الانحراف والجهل والخراب.

ومن أهم المقترحات الأولية التي يمكن أن تسهم بها هذه الورقة ما يلي:

1- بذل جهود مضاعفة لأجل إعادة إحياء الخطاب الصوفي الأصيل الذي ضاع في غيات الإهمال الذي خلّفته الحركات الدينية المعادية له، والتي تتخذ من انزلاقات بعض التنظيمات الطرقية مبررا لالتفات عن التصوف ممارسة ودراسة وبحثا، الأمر الذي يستلزم النقد الذاتي والتجديد الذاتي من داخل التصوف نفسه.

2- العمل على تقريب الخطاب الصوفي، وتيسير مضامينه المعرفية، وحلّ معضلاته الخلافية، لتجاوز الاحتكار الذي جعله حبيس أفق تداولي ضيق منع من تعميم الفائدة الكامنة فيه.

3- محاولة سبب خطاب ديني جديد يحافظ على تقديس النص السماوي، ويستأنس لآثاره الدينية، ويوظف المنهج الروحي والأخلاقي، ويتماشي مع مستجدات الواقع المعاصر وتحدّته، لأجل بناء إنسان مسلم مؤمن محسن (الإنسان الكامل) المشيد للحضارة الأخلاقية.

لائحة المراجع:

- القرآن الكريم برواية حفص.
- السنة النبوية المطهرة.
- ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إكّ نعبد وإكّ نستعين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- أبو العلاء المودودي، مبادئ الإسلام، د.ط، الدار السعودية، جدة، 1407 هـ.
- أبو العلاء المودودي، موجز ريبخ تجديد الدين وإحيائه وواقع المسلمين والنهوض بهم، ط2، دار الفكر الحديث، لبنان، 1967م.

- أبو طالب المكي، قوت القلوب في معاملة المحبوب، تحقيق: عاصم الكيالي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م.
- أبو نصر السراج الطوسي، اللمع، تحقيق: عبد الحليم محمود وعبد الباقي سرور، د.ط، دار الكتب الحديثة، مصر، 1960م.
- أحمد ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبد الرحمان بن محمد بن قاسم، د.ط، مكتبة المعارف، د.ت.
- أحمد زروق، قواعد التصوف، تحقيق: عبد المجيد خيالي، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007م.
- الأمير عبد القادر الجزائري، المواقف في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف، تحقيق وتقديم: بكري علاء الدين، ط1، دار نينوى، دمشق، 2014م.
- أمين يوسف عودة، التصوف شهودا وحبا وخطا وأثره في روحنة الإنسانية والتقريب بين الأخرى والآخرة، ط1، دار الكتب الحديث، الأردن، 2016م.
- أمين يوسف عودة، نقد النزعة الانسانية عند جلال الدين الرومي، صحيفة الرأي، 2017/02/09، <http://alrai.com/article/10376219/>، ربح التصفح: 2017/04/08 - 02:04.
- بديعة الحسني الجزائري، الأمير عبد القادر الجزائري حياته وفكره، ترجمة: أبو القاسم سعد ، ط2، دار الوعي، الجزائر، 2012م.
- بسطامي محمد سعيد، مفهوم تجديد الدين، ط2، وكز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، 2015م.
- جلال الدين السيوطي، بيد الحقيقة العلية وتشديد الطريقة الشاذلية، تعليق وتصحيح: عبد محمد بن الصديق الغماري الحسني، ط3، مكتبة القاهرة، مصر، 2008م.
- جواد المرابط، التصوف والأمير عبد القادر، د.ط، دار البيقظة العربية، دمشق، 1966م.
- خالد ميار الإدريسي، الدبلوماسية الروحية في خدمة الامان العالمي، الملتقى العالمي للتصوف، الطبعة 11: التصوف وثقافة السلام: رؤية إسلامية كونية لنزسيخ قيم التعايش والسلم الحضاري، إقليم بركان - المغرب، 2016م.
- ربيعة سحنون وطارق العلمي، منهج الإمام الجنيد في السلوك وخصائص الممارسة الصوفية - المغرب، دار أبي قراق، المغرب، ط1، 2012م.
- شارل هنري شرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة: أبو القاسم سعد ، د.ط، الدار التونسية للنشر، د.ت.
- عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، تحقيق: عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، د.ط، دار الشعب، القاهرة، د.ت.
- عد ن محمد أمانة، التجديد في الفكر الإسلامي، ط1، دار ابن الجوزي، الدمام - السعودية، 1424 هـ.
- علي بن أبي طالب، نهج البلاغة، جمعه ونسق أبوابه: الشريف الرضي، شرحه وضبط نصوصه: محمد عبده، د.ط، مؤسسة المعارف، بيروت، د.ت.
- عمر عبيد حسنة، الاجتهاد للتجديد سبيل الوراثة الحضارية، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، 1988م.

- فري بيتو، إبداع الفنان: نظرة شمولية للكون، ترجمة: سل فريجات، مراجعة: مها عرنوق، ط1، دار الحوار، اللاذقية، 2005م.
- محمد مراح، مفهوم التجديد في الفكر الإسلامي، (مقال) مجلة القافلة، العدد3، 1999م.
- مصطفى محمود، سواح في دنيا ، د.ط، دار أخبار اليوم، القاهرة، 2000م.
- نيكلسون رينولد، الصوفية في الإسلام، ترجمة: نور الدين شرييه، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2002م.
- يوسف القرضاوي، من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض لندنيا، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، 1998م.
- يوسف زيدان، دوامات التدين، دار الشروق، ط1، القاهرة، 2013م.

References

- Elkuchayri Abdulkarim. **Erissala Elkuchayria**, thk. Abdulhamid Mahmud wa Mahmud ibn Echarif, dar echaab, Elkahira.
- Etossi. Abu Nacer Esarage. **Elloumae**. Thk. Mahmud Abdulhalim & Surur Abdelbaki. Egypt: dar elkutub elhaditha, 1960.
- Elmekki Abu Taleb, **Kout Elkulub fi mouamalat elmahbub**. thk: Elkiali Acim. ed:1. Beyrut: dar elkutub elilmia, 2005.
- Elmaoududi Abulala. **Mebadie elislam**. Djedah: edar esaudia, 1407hj.
- Elmaoudoudi Abulalaa. **Mujez tarikh tadjdid eddin wa ihyaih wa wakie elmuslimine wa en-nohoth bihim**. ed:2, Beyrut: dar elfikr elhadith, 1967.
- Umamah Adnan Muhamed. **Ettajdid fi elfikr elislami**, ed: 1. Addamam: dar ibn Eldjawzi, 1424hij.
- Zarouk Ahmed. **Kawaid Etasauf**. thk. Abdelmadjid Khiali. ed:3, beyrut, dar elkutub elilmia, 2007.
- Aouda Amin Youcef. **Etassauf shuhudan wa hubban wa khitaban wa atharuhu fi raowhanat elinsania wa ettakrib beyna elana wa elakhar**. ed:1, Elordon: dar elkutub elhadith, 2016.
- Aouda Amine Yussuf. **Nakd enazaa elinssania inda Djalel Edin Eromi**. erraey journal. <http://alrai.com/article/10376219/>. 09/02/2017
- Eljazairi Badiia Elhassani. **Elemir Abdelkader Eljazairi hayatuhu wa fikruhu**. tra: Abulkacim Saadullah. edi:2. Eljazair: dar elwaey, 2012.
- Bistami Muhamed Said. **Mafhum tajdid eddin**. ed:2. Djeddah: merkez ettaecil liddirasset wa elbuhuth, , 2015.
- Cherchel Charl Henry. **Hayat Elamir Abdulkader**. tr: Abulkacim Saadullah. eddar ettounissia linnacher.
- Essoyuti Djalaluddin. **Taayid elhakika wa tachyid attarika achathulia**, taelik wa tashih. Abdullah ben Muhamed ben Essaddik Elghemari Elhassani. ed:3. maktabat elkahira, 2016.
- Elmurabit Djawad. **Etassauf wa Elamir Abdelkader**. Dimachk. dar elyakadha elarabia, 1966.
- Elamir Abdulkader Eldjazaeri, **Elmawakif fi baath elicharat ila elasrar wa elmaaref**, thk wa takdim. Bekri Alaeddin. Dimachk: dar neynawa, 2014.
- Fery bitou, **Ibdae elfannen: nathra choumoulia lilkawn**. tra: Bassel Farihet, mourajaa: Maha Arnoug. edi:1, elladhikia: dar elhiwar, 2005.
- <http://www.rencontremondialedusoufisme.com/categorie/soufisme-et-culture-de-paix/>.
- <http://www.rencontremondialedusoufisme.com/categorie/soufisme-et-culture-de-paix/-2017/4/6>
- Eldjaouzia Ibn Kayim. **Mederij essalikin beyna menezil iyaka naebudu wa iyaka nestain**. ed:1. Beyrut. dar elkutub elilmia,.
- Ibn Taymia. **Medjmoue elfatawa**. jamae wa tartib: Abdurahmen ben Muhamed Ben Kacim. maktabat elmaaref.

- Imam Ali, **Nahj elbalagha**, jamae: Echarif Eridha. charh: Muhamed Abdou. muassacet elmaaref. Elidrissi Khaled Mir. **Edibloumassia erruhia fi khidmet elamen elalami**. elmultaka elalami litasauf, tabaa11 (etasauf wa thakafat essalem: roeya islamia kaounia litarsikh kiam etaayuch wa essilm elhadhari, maroc, 2016.
- Merah Muhamed. **Mafhoun ettajdid fi elfikr elislami**. majallah elkafila. n:3. 1999.
- Mahmud Mustafa. **Saweh fi dounia Allah**. Elkahira: dar akhbar elyoum, 2000.
- Nicholson Reynold. **Esufia fi elislam**. tr: Nuruddin Cheribah. ed:2. Elkahira: maktabat elkhanji, 2000.
- Sahnoun Rabiaa & Elelmi Tarek. **Menhej elimam Eljounaid fi esoulouk wa khassais elmumarrassa esufia bilmeghrib**. ed:1, maroc: dar abi rakrak, 2012.
- Umar abid hassanah, **Elijtihad littajdid sabil elwaratha elhadharia**, ed:1. elmaktab el islami, beyrut, 1988.
- Karadhaoui Youcef. **Min ajel sahwa rachida tujaddid eddin wa tanhath biddounia**. ed:1. Beyrut: elmektab elislemi, 1998.
- Zeidan Yussuf. **Dawamet Etadaun**. ed:1. Elkahira: dar echuruk, 2013.

Structured Abstract

Introduction

In view of the prevalence of the phenomenon of ISLAMOPHOBIA as a result of some of the extremist religious speeches and POLITICIZED, the question of renewal in religious discourse inevitable question, in order to revive what is blurring of the features, as it preserves the holiness of the religious text, on the one hand, and exercise of renovation and modernization to keep pace with contemporary reality on the other hand, as that would lead to a convergence of people and bridging the gap of disagreement and differences among them, and not to deepen the division among them.

And more than anything goes off norah in religious speeches sphincter is the spiritual aspect of the behavioral, which led to the spread of formal religion, empty of spirit, the fanatical religiosity, empty of values. The Sufi approach can contribute to the desired renewal as a method spiritually and morally. Hence the importance of this subject.

This study aimed to highlight the extent of the ability of the approach to MYSTICISM TELEGRAPHS, creating conditions for the renewal of the religious discourse.

Thus focusing the problem of the study on the key question: can the Sufi approach to renew the religious discourse, according to the data of the contemporary reality?

The answer to this problem is through the four basic axes, the first of which deals with the most important terms that are the subject of the study, the second shows the functions used by the Sufi discourse and seeks to achieve, and the third discusses how to reconcile the ethics of mysticism and religious beliefs and worship and transactions. The last axis envisages the UNMASKING of the role of mysticism in the spirit of religious discourse and overcoming exclusionary speeches.

I. Adjusting Terminology:

1. **Sufism:** We limit its definition to: achieving the status of Ihssane ; the third level of religion contained in the well-known Hadith of Jibril "faith, Islam, and Ihssane (charity)". Sufism is the spiritual and behavioural aspect of The Islamic religion.

2. **The religious discourse:** is each statement published to publicize the islamic religion through various media and the head of the mosque, and put this speech by scholars, preachers and imams belonging to religious institutions.

3. The renewal of religious discourse: is to revive what has died of the religion, and rid it of the FADS, with closer links to the contemporary reality of working vigorously.

II- The functions of sufi discourse

Sufi discourse primarily aims to reform the human subhuman and strengthen its spiritual meanings, and to achieve this it employs two basic functions: moral and taste.

1- Ethical function: Sufi discourse ensures that the process of creation has two dimensions: well a horizontal dimension: created with creation, and a vertical dimension: well created with the right. The first is to leave the disadvantages of morality and to have its advantages, and the second is to abide by the orders and leave the prohibitions.

2- Taste function: The Sufi experience is characterized by the fact that it is based on taste, practicality and actual practice while walking in the runways of the salikins, by politeness of the soul with physical mujahada and spiritual sports.

III. Reconciling Sufi morals with beliefs, worships and religious transactions or, in other words, reconciling Sufism,

Reconciling Sufi morals with beliefs, worships and religious transactions or, in other words, reconciling Sufism, doctrine and jurisprudence, or less between charity, faith and Islam, the Sufi approach does not differentiate between belief and shari'a and moral and spiritual behavior, but rather considers that religion is complete. These areas are integrated together, and are based mainly on the reconciliation of sharia, truth and manner.

As for conciliation in the field of faith, the Sufi approach elevates the belief in good names from merely proving to God to embodying these divine attributes in our behaviors and making them spoken facts. With regard to conciliation in the field of jurisprudence, such as prayer, Sufism emphasizes the importance of the situation during this prayer, through the association of the heart and the neighbours, i.e. the apparent and the inner. To this sense, the Prophetic Hadith refers to him, "who has not ended his prayer sought by the truth about the truth and the denial of truth, and who is praying for him."

IV. The role of sufism in the spirit of religious discourse and the overcoming of exclusionary discourses:

Sufism can play an important role in the spirit of religious discourse and make it a speech that penetrates hearts before listening, through the principles and values on which it is based, and on which we can limit it to four basic principles: the principle of love. Peace, the principle of humanity, the principle of divine power, and the principle of transfiguration.

1. The principle of love and peace: The Sufi experience makes its practitioner a loving human being, not only for God, but for his love to encompass the whole universe.

2- The principle of humanity: Imam Ali Karamallah said his face: "People are two types: either a brother to you in religion or a counterpart to you in creation.", i.e. in humanity. If brotherhood in religion does not expand to accommodate the other, human brotherhood can accommodate everyone.

3- The principle of divine power: to create in his name the "broad", and to refer the religious discourse to his first saying, which was brought by the Prophet of Mercy (PBUH) and which made all people more aware of their differences.

4- The principle of transfiguration: The mystical vision of the universe and man is based on the theory of transfiguration, and the abbreviation of this principle is reflected in the saying of Ibn al-Arabi: "There will be nothing to be done from religion until all creations are destroyed and do not despise a creature as long as God has made it."

Conclusion

The mission of sufi discourse is confirmed by the failure of many contemporary Islamic discourses to propose a universal human model, and to transform Islam into an open format capable of creating real conditions for tolerance and coexistence.